بسم الله الرحمن الرحيم

○ تمهيد ○

الحمد لله الذي جعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنًا ، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفًا وتحصينًا ومَنًّا .

فرض علينا حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للأنام ، يردونه ورود الظمآن ، ويألهون[1] إليه وُلوه الحمام ، جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته ، وإذعانهم لعزته ، واختار مِنْ بين خلقه سُمّاعا أجابوا إليه دعوته ، وصدّقوا كلمته ، ووقفوا مواقف أنبيائه ، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه ، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عند موعد مغفرته، جعله سبحانه للإسلام علما، وللعائذين حرما، فرض حجه، وأوجب حَقّه، وكتب علينا وفادته[2].

والصلاة والسلام على نبي الرحمة ، وسيد الأمة محمد عبد الله ورسوله ، وصفيه وخليله .

أما بعد :

فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر ، وختام الأمر ، وتمام الإسلام ، وكمال الدين ، فيه أنزل الله عز وجل : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾[3].

فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ، ويساوي تاركها بجحد اليهود والنصارى في الضلال .. وهي الرحلة إلى الله في دار الدنيا ، فيالله من سفرة

(١) يألهون إليه : أي : يفزعون .

(٢) الوفادة : الزيارة .

(٣) سورة المائدة : آية ٣ .

تريك آثار الجنة ، ومواطىء أقدام الخليلين صلوات الله وسلامه عليهما ، وإن لتراب طريقهما ، بل لغبار آثارهما أقدارًا عظيمة ، وكل غبرة تقع على حافظات طريق النبيين لأغر من المسك الأذر .

أيام تُري الموحد أصله العريق الضارب في أعماق الزمن منذ أبيه إبراهيم الخليل ﷺ ..

يجد المسلمون محورهم الذي يشدهم جميعا إليه ، هذه القبلة يتوجهون إليها جميعًا ، ويلتقون عليها جميعًا ، ويجدون رايتهم التي يفيئون إليها .. راية العقيدة الواحدة التي تتوارى في ظلها فوارق الأجناس والألوان والأوطان .

والمسجد الحرام – في حقيقته موضع الفكرة الواحدة الطاهرة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع ، هو فكر واحد لكل الرؤوس ، ومن ثم فهو حل واحد لكل المشاكل ، وكما يشق النهر فتقف الأرض عند شاطئيه لا تتقدم ، يقام المسجد فتقف الأرض بمعانيها الترابية خلف جدرانه لا تدخله »[1].

ويرحم الله (إقبال) حين يقول :

هكذا سنّة ميلاد الأمم ... مركز فيه حياة تنتظم
إنما المركزُ روحُ الدائرةْ ... نقطةٌ ، فيها محيطٌ ، ضامرةْ
ومن المركز للقوم نظامْ ... ومِنَ المركزِ للقومِ دوامْ
نُقطة المركز منّا الحجرُ ... نبضنا والوجدُ فينا الحرمُ
نَفَسٌ في صدرنا يتّقد ... روحنا الغالي ، ونحن الجسدُ
مِنْ نَداهُ نُضّرتْ أغصانُنا ... حَيٌّ من زمزمِه بُستانُنَا
نحنُ مِنْ دعواهُ في الدنيا دليلْ ... نحنُ فيه من براهين الخليلْ
صوتُنا يَنْدَى به في الأمم ... واصِلًا مُحدثَنا بالقِدَمِ
وَحّد المِلّة طوْفٌ حوله ... فهي صُبح قد حَوى صَدْرٌ له
وَحّدتْ في حَسْبِه كثرتُنا ... أُحكِمتْ من وحدةٍ قوتُنا

---

(١) وحي القلم : ١/٣٤٨ .

إن في الجمع حياةَ الأمم إنّ هذا الجمعَ سرُّ الحرم
أيها المسلمُ ياذا البَصرِ ! قوم موسى عبرةٌ فاعتبرِ
زهدوا في مركز قد جمّعا فتراهم في البرايا قُطَّعا
يا عليلًا شاكيا جور الزمنْ يا أسيرًا غَلّه وَهَمّ وظنّ
اجعلن ثوبك ثوب المحرم أطلع الصبح بليل مظلم
افن كالآباء ما بين السجود[1] اسجدنْ حتى ترى عين السجود
من خشوع المسلمين الأولينْ سيطروا بالحق بين العالمينْ
في سبيل الحق شوكًا وَطئوا فإذا الروضة هذا المَوطِيءُ[2]

ومع فضائل الحج والعمرة رحلتنا ، وما يقوم مقامهما عند العجز عنهما ، وفضل العمل في العشر الأوائل من ذي الحجة .

ولقد جمعت - قدر طاقتي - عبارات أئمة السلف في ذلك وضممت ما تفرق من كلامهم الطيب .. عسى الله أن يلحقني بهم .

وفي ختام تمهيدي أتذكر المواقف الطيبة لكل من ساعدوني في إبراز الكتاب :-

شيخي وأستاذي وحبي بقية السلف وحادي الغرباء بمصرنا وشيخ الصحوة فضيلة الشيخ محمد بن إسماعيل الذي أولاني عطفه وكرمه وطوق عنقي بجميل لن أنساه له ما حييت والشيخ عبد الفتاح الزيني الكريم الطيب الجواد شيخ الجيزة بأسرها الذي أحبه ملء شغاف قلبي ، وإخوة مكتب الجمع التصويري فردًا فردًا جزاء تعبهم ونصبهم ونصحهم وعند الله وحده جزاؤهم وأنهي التمهيد بوصف مشهد الحجيج :

(١) جمع ساجد .
(٢) ديوان الأسرار والرموز ، لمحمد إقبال : ص (١٢٣ - ١٢٤) . ترجمة د / عبد الوهاب عزام . دار الأنصار - القاهرة .

يقول أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري المعروف بالصرصري[1]:

وأحرموا ثم لبَّوا خاشعين لذي الـ ... جلال كلٌّ إلى مولاه مبتهلُ
وساوت السوقةُ الأملاكَ تحسبهم ... إلى الحساب من الأجداث قد نَسَلُوا
وشارفوا عرفات فاستبان لهم ... أن الحجيج إلى ما حاولوا وصلوا
فيا له موقفًا فيه لوافده ... جوائز الفضل والرضوان تُبتذلُ
وفاض بالمشعر الإحسان فوقهم ... وبالمُنى في منى من ربهم حصلوا
ثم استقلوا إلى البطحاء حين قضوا ... رَمْيَ الجمار وقد نالوا الذي أملوا
طافوا بذات الستور ازداد معلمها ... جلالة وبهاءً ليس ينفصل
وأحسنوا السعي بين المروتين وفي ... المقام بعد الطواف وانتقلوا
شفوا بزمزم داء الصدر واعتمروا ... وما بدا لهم من صالح عملوا
وودعوا البيت والأحشاء واجفة ... وفي القلوب لآلام النوى شُغُلُ

اللهم اجعله خالصا لوجهك الكريم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د / السيد بن حسين العفاني

الخميس ١٩ شعبان سنة ١٤١٣ هـ

---

(١) نسبة إلى « صرصر » من ضواحي « بغداد » ، وقد ولد ٥٨٨ هـ وقتل شهيدًا يوم دخل التتار بغداد ٦٥٦ هـ بعد أن قاومهم بعكازه ورماهم بالحجارة وكان ضريرًا فقتلوه (!!!) .